«الأمناء» تنشر دراسة بحثية عن الواقع الراهن ومتطلبات الخروج منه (الحلقة الثانية)

تفاصيل تراكمات وإرهاصات لانتقال شعب الجنوب بنضاله نحو الثورة السلمية الشاملة

مؤشرات هامة لتحقيق استعادة دولة الجنوب

«الأمناء» قسم التقارير:

تنشر «الأمناء» في عدد من الحلقات، وبتصرف من المحرر، ما جاء في دراسة بحثية للدكتور سعودي علي عبيد صالح، أستاذ مساعد في جامعة عدن، والمعنونة بـ «عن الواقع الراهن.. ومتطلبات الخروج منه».

وبعد أن سردنا في الحلقة الأولى مقدمة البحث، وأهم ملامح الواقع، وتوقفنا عند النقطة الثانية المتمثلة بـ(لا غالب ولا مغلوب)، نواصل سرد ما تبقى من النقاط.

ثالثاً: جنوب غير محرر كاملاً: منذ أن استطاع الشماليون اجتياح أراضي الجنوب واحتلاله في 7/7/1994م، لم يهدأ الجنوبيون في نضالهم من أجل تحقيق هدفهم للخلاص من هذا الاحتلال، وصولا نحو استعادة دولتهم بحدودها المتعارف عليها دوليا، والممتدة من المهرة شرقاً حتى باب المندب غربا.

ومن أجل ذلك، فقد أخذ نضال الجنوبيين مسارات متعددة وفق الظروف والإمكانيات. ويمكن تلخيص هذه المسارات على النحو الآتي:

1.التململ والرفض الشعبيان لما حدث للجنوب من احتلال الشماليين للجنوب. وقد تميَّزتْ هذه الحالة بعدد من السمات أهمها: إن هذا الرفض والتململ لم يكنْ شمولياً، بمعنى أنه لم يكن بمثابة حركة أو هبَّة شعبية. بل كان محصوراً في إطار جزء من النخبة الجنوبية المثقفة فقط. أما السمة الثانية، فقد تمثلتْ في طريقة التعبير عن ذلك التململ والرفض. إذ كانت طريقة التعبير من خلال الكتابات الأدبية في بعض الصحف المحلية أو العربية، وذلك بحسب ما كانت تسمح به سلطات الاحتلال اليمني. وقد دفع الكثيرون من الجنوبيين ضريبة ذلك العمل. كما تعرضت العديد من الصحف لأنواع مختلفة من العقوبات من قبل أجهزة السلطة التنفيذية والأمنية والقضائية.

2.وكردة فعل على احتلال الجنوب، عملت مجموعة من العسكريين على تنظيم أنفسهم في تنظيم عسكري «حتم». وقد عملت هذه المنظمة العسكرية على تنفيذ عمليات عسكرية ضد معسكرات الاحتلال اليمني في بعض مناطق الجنوب.وكانت مناطق الضالع وردفان ويافع أهمها.ولكن سرعان ما خمدت هذه العمليات العسكرية أو تم إخمادها. وكان ذلك بفعل مجموعة من العوامل والأسباب، منها:

*اختلال موازين القوى العسكرية بين الطرفين. ذلك أن الطرف الآخر، الاحتلال اليمني، نجده مسلحا بمختلف المعدات الحربية بدون استثناء، كما أنه كان مسيطراً على الأرض باعتباره محتلا لها.

*محدودية ساحة المعركة في مناطق معينة من الجنوب، بمعنى أن هذا العمل العسكري، لم يشمل أغلب مناطق الجنوب. وهذه الخاصية أتاحت للطرف الآخر، الاحتلال اليمني، باستفراد واحتواء العمل العسكري لمنظمة «حتم»، ومن ثم ضربها وإخمادها.

*كان نشاط «حتم» موجهاً وممولاً من جهات جنوبية تتواجد في الخارج. وهذه الخاصية مثلتْ سلبية في استمرارية نشاط «حتم».

3.بعد انتهاء حرب صيف 1994م، وبما أدتْ إليها من نتائج أهمها احتلال الجنوب من قبل الشمال، فقد أنبرتْ مجموعة من أعضاء اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني ذوي الأصول الجنوبية، للتعبير عن امتعاضهم واستيائهم من الحرب ونتائجها. وقد طالبت هذه المجموعة بضرورة تصحيح مسار وحدة 22مايو1990م، وذلك انطلاقاً من أن تلك الوحدة المذكورة بين كل من الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، لم تكن عادلة.

ولم يكن نصيب «تيار تصحيح مسار الوحدة» من النجاح أفضل من «حتم»، لعدة أسباب منها على سبيل المثال لا الحصر:

*انعزالية هذه المجموعة، باعتبار أنها كانت محصورة بمجموعة نخبوية محدودة العدد باللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني، التي كان قوامها نحو (301) عضواً، بينما هذه المجموعة لم تتجاوز الثلاثين عضواً تقريبا.

*وبرغم أن مشروع هذه المجموعة، كان يحمل في طياته ومضمونة هموم ومظلومية شعب الجنوب، التي وقعت عليه بسبب الوحدة والحرب، إلا أننا نجد أن ذلك التيار، لم يستطع أن يوحِّد جميع أعضاء اللجنة المركزية ذوي الأصول الجنوبية، ذلك أن جزءاً منهم وقف ضد «تيار تصحيح مسار الوحدة»، ويعتبر ذلك من المفارقات العجيبة والكارثية.

*وإذا علمنا بأن غالبية قوام اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي هم شماليون، فإن ذلك يعتبر سبباً كافياً لتفسير وقوفهم ومعارضتهم لأطروحات المجموعة المذكورة، المنادي إلى إعادة النظر في وحدة 22 مايو 1990م. فالجنوب ليس سوى غنيمة من المستحيل التنازل عنها. وهذا هو منطق الشماليين بمختلف اتجاهاتهم وتوجهاتهم، متعليميهم وجهلتهم.

*كما أن «تيار تصحيح مسار الوحدة»، كان مقطوع الصلة بالقاعدة الشعبية الجنوبية. ويعود ذلك إلى سببين أساسيين: موضوعي وذاتي. أما الموضوعي فله علاقة بعدم وجود حراك شعبي واسع مناهض للاحتلال اليمني خلال تلك الفترة الزمنية التي أعقبت الحرب مباشرة، وكذا قوة وجبروت سلطة الاحتلال اليمني حينها. أما العامل أو السبب الذاتي، فله علاقة بهذه المجموعة أو التيار من ناحية محدودية عددهم، وانعدام القاعدة الشعبية المناصرة لذلك التيار.

4.ثم تأسست وتشكلت اللجان الشعبية في العديد من مناطق الجنوب، وكانت أبرزها في عدن والضالع وأبين. وقد تمثلت دواعي تأسيس وتشكيل اللجان الشعبية في مجموعة من الأسباب والعوامل، نذكر منها:

*معاناة شعب الجنوب بسبب تصرفات وسلوكيات الاحتلال اليمني وأدواته القمعية، والسطو على أراضي الجنوب، ونهب ثرواته وتقاسمها على مراكز النفوذ الشمالية.

*فشل الإرهاصات المذكورة السابقة في التأثير على الواقع أو تغييره، أو حتى إجراء أي تعديل عليه.

وقد تميَّز نشاط ونضال اللجان الشعبية بعدد من السمات والوسائل، نذكر منها:

*العلنية، فقد أفصحت وأعلنت اللجان الشعبية عن تأسيس نفسها لجماهيرها وللسلطة، كما كان نشاطها وحركتها علنياً. أي أنها ابتعدت عن السرية لعدة أسباب جوهرية. كما كانت قياداتها الأساسية معروفة.

*كانت تعقد اجتماعات منتظمة وغير منتظمة، تناقش فيها بعض القضايا التي تخص مواطني مناطقها.

*عقد لقاءات مع التجمعات السكنية لمناقشة ما يخص هذه المناطق من قضايا.

*القيام بمسيرات واعتصامات ضد سلطات الاحتلال.

*إصدار البيانات، والكتابة في الصحف حول مختلف القضايا ذات العلاقة فيما كان يعتمل في الجنوب.

وكما حدث للإرهاصات الجنوبية المذكورة سابقاً، فقد تعرضت اللجان الشعبية للاضطهاد والقمع من قبل أدوات القمع التابعة للاحتلال اليمني. فقد تعرَّض نشطاء اللجان الشعبية للاعتقالات والسجن والمحاكمات.

وكما هي حال الإرهاصات السابقة، فقد تعطل نشاط اللجان الشعبية وتوقف عند نقطة معينة، وكان ذلك بسبب توليفه من الأسباب والعوامل، منها ما هو موضوعي، ومنها ما هو ذاتي. وقد لا تختلف عن تلك الأسباب والعوامل التي ذكرناها سابقاً.

5.عندما نعود إلى مجموعة الأسباب والعوامل المؤثرة في فشل الإرهاصات السابقة الذكر، سنجد أن عامل الفرقة والاختلاف، والتباعد بين المكونات الجهوية (المناطقية) لشعب الجنوب، قد شكل العامل الأساسي الذي أدى إلى فشل أو عدم استمرارية تلك الإرهاصات. وعليه، ومن هذا المنطلق برزت فكرة «التسامح والتصالح»، التي تعني نسيان مآسي الماضي «ولو مؤقتا». تلك المآسي التي نتجت بسبب الصراعات السياسية داخل النُخب السياسية الجنوبية، منذ عشية الاستقلال الوطني نوفمبر 1967م حتى الوحدة الاندماجية في 22 مايو 1990م.

وقد انطلقت حركة «التسامح والتصالح» من جمعية ردفان الأهلية في عام 2006م، عندما بادر لفيف من الجنوبيين، يمثلون مناطق جنوبية متعددة بالدعوة إلى الأخذ بقيمة التسامح والتصالح، وإشاعتها بين الجنوبيين. وعلى أساس تلك الدعوة، تأسست ملتقيات التسامح والتصالح في عدد من محافظات الجنوب. وما زال الجنوبيين يحيون ذكرى تأسيس ملتقيات التسامح والتصالح، وقد اختاروا يوم الثالث عشر من يناير للاحتفاء بقيمة التسامح والتصالح. وفي اختيارهم لهذا التاريخ، فقد أرادوا بذلك تحويل ذلك الحدث المشؤوم إلى حدث تاريخي، يفتح آفاقاً جديدة في نضالهم ضد الاحتلال اليمني من أجل استعادة دولتهم.

6.وبفعل كل تلك التراكمات والإرهاصات السابقة الذكر، فقد انتقل شعب الجنوب في نضاله نحو الثورة السلمية الشاملة، التي جرى الإشارة إليها في الأدب السياسي المحلي بـ«الحراك الشعبي الجنوبي السلمي، الذي انطلق في 7/7/2007م وذلك عندما أقام الجنوبيون فعاليتهم السياسية الرافضة للاحتلال اليمني للمرة الأولى في ساحة العروض (ساحة الحرية) بخورمكسر.

وخلال مرحلة نضال شعب الجنوب في إطار ثورة الحراك السلمي، الذي استمر منذ عام 2007 حتى اندلاع الحرب الأخيرة في أواخر مارس 2015م، يكون شعب الجنوب قد قطع شوطاً مهماً في نضاله من أجل الوصول إلى تحقيق هدفه السامي، المتمثل في استعادة دولة الجنوب، بحدودها المعترف بها دولياً من المهرة شرقاً حتى باب المندب غرباً.

ومع أن الهدف النهائي المتمثل في استعادة دولة الجنوب لم يتحقق خلال هذه المرحلة، إلاَّ أنه يمكننا القول بأنه قد تحققت مجموعة من المؤشرات الهامة، نذكر منها ما يلي:

*جرى تدعيم وتقوية قيمة «التسامح والتصالح» بين مختلف المكونات الجهوية لشعب الجنوب في مختلف ساحات الاعتصام والفعاليات والمليونيات.

*خلال فترة نضال «الحراك السلمي» استطاع شعب الجنوب توصيل قضيته إلى الرأي العام الإقليمي والدولي. وكان لقناتي «عدن لايف» و«صوت الجنوب»، ومواقع التواصل الاجتماعي دوراً مؤثراً في ذلك.

*امتزجتْ دماء الجنوبيين في كل بقعة من أرض الجنوب. فاستشهد اليافعي في عدن وشبوة وحضرموت والضالع وغيرها من مناطق الجنوب. كما استشهد الحضرمي في هذه المناطق، واستشهد الأبيني فيها كذلك،وهكذا بالنسبة لباقي مكونات الجنوب.

*قدم شعب الجنوب خلال هذه المرحلة من نضاله تضحيات جسيمة؛ من شهداء وجرحى ومعتقلين ومشردين ومخفيين، ومحكومين بواسطة المحاكمات الصورية.

*استطاع شعب الجنوب خلال هذه المرحلة من نضاله من إعادة تنظيم نفسه، وذلك من خلال تكوين مكونات الحراك الأساسية المتعددة، وغيرها من المكونات الأخرى المساعدة والداعمة لثورته السلمية.

7.ثم اندلعت حرب ربيع 2015م أواخر مارس. وكانت ساحتها الأساسية أراضي الجنوب وعاصمتها عدن في المقدمة.ويعود سبب ذلك إلى الخاصية الأساسية لهذه الحرب، باعتبارها «حرب تأكيد احتلال الجنوب من قبل الاحتلال اليمني». أي أن الاحتلال اليمني أراد تأكيد بقاء الجنوب تابعاً له، أو بالأصح مذاباً فيه. ومن أجل هذا الهدف، عمل الشماليون، أو ما أُطلق عليه مجازاً بتحالف الحوثيين وعلي عبدالله صالح، لإرسال المزيد من القوات والمعدات والتشكيلات العسكرية النظامية وغير النظامية إلى الجنوب وخاصة العاصمة عدن.

وفي مواجهة هذا الواقع الجديد، نهض الجنوبيون فرادى وجماعات لمقاومة الغزو الشمالي الجديد، وبرز واقع جديد في الجنوب اسمه «المقاومة الجنوبية». وقد استمرت هذه المقاومة من أواخر مارس 2015م حتى جرى دحر وإخراج القوات الشمالية من معظم المناطق الجنوبية.

وقد اتسمت هذه المرحلة بعددٍ من السمات والخصائص:

1.كان يتواجد عدد كبير من معسكرات الاحتلال اليمني موزعة في مختلف مناطق الجنوب، إلا أن أغلب أفراد هذه المعسكرات هم من أصول شمالية، ولا يوجد فيها إلا القليل من الجنوبيين، سرعان ما غادروا هذه المعسكرات عندما انفجرت المعارك.

2.من الصعب الحديث عن «جيش وطني» خاص بالجمهورية اليمنية، وذلك لسببين رئيسيين: الأول أنه ومنذ 7/7/1994م تفرَّغتْ سلطة صنعاء، بتصفية المؤسسات العسكرية والأمنية من الجنوبيين، من خلال استخدامها سياسة التقاعد من الخدمة العسكرية بحق وبدون حق، وفي الأغلب باستخدام سياسة التقاعد القسري. والسبب الآخر، هو فتح الباب على مصراعيه لضم الشماليين إلى المؤسسات العسكرية والأمنية، وإغلاق هذا الباب في وجه الجنوبيين إلا في حدود ضيقة.

3.وبسبب عدم وجود مؤسسة عسكرية جنوبية، تقوم بمهمة الدفاع عن أرض الجنوب، فقد قام الجنوبيون بتنظيم أنفسهم في تشكيلات ومجموعات عسكرية عرفت بـ«المقاومة الجنوبية».

4.اعتمدت عملية تشكيل «المقاومة الجنوبية» على طريقتين أو أسلوبين: الأسلوب أو الطريقة الأولى هي التلقائية أو العفوية. والأخرى هي الطريقة أو الأسلوب المقصود أو الهادف.وقد أتت هاتان الطريقتين بالاستناد إلى مجموعة من العوامل منها:

*الهدف أو الدافع الأساسي لكل فصيل من «المقاومة» في هذه الحرب. بمعنى هل هو وطني، كما هو الحال عند المقاومة التي هدفها طرد الاحتلال اليمني من أرض الجنوب، واستعادة حريته ودولته. أو قد يكون تشكيل هذا الفصيل من المقاومة بدافع مذهبي ديني، كما هو الحال عند بعض السلفيين. كما قد يكون تشكيل هذا الفصيل بدافع سياسي حزبي، كما هو الحال عند حزب التجمع اليمني للإصلاح، الذي أشيع أنه شارك في هذه الحرب.

*ومن تلك العوامل التي لها علاقة بطريقتي تشكيل هذه «المقاومات»، هي الوسائل والقنوات التي استطاعت هذه المقاومات بموجبها الحصول على الأسلحة والأعتدة الحربية، والأموال والمساعدات اللوجستية الأخرى.

ومن المؤكد بأن لكل جهة أو مصدر، أو طرف قام بتقديم تلك الأسلحة والأعتدة والأموال والدعم اللوجستي، هدفه أو أهدافه الخاصة به من هذه الحرب.

والقول بأنَّ الجنوب لم يتحرر كاملاً، هو قول تأكده الحقائق التالية:

1.ما زالت هناك مناطق جنوبية، وخاصة منها الحدودية مع الشمال، تحت سيطرة القوات الشمالية، بيحان ومكيراس، وحضرموت الوادي.

2.ما زالت توجد عدد من المعسكرات والألوية العسكرية في بعض مناطق الجنوب، وكمثال على ذلك في مناطق حضرموت ومنفذ «العبر»، وبجوار بعض حقول النفط.

3.عدم استعادة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لطبيعتها في المناطق الجنوبية المحررة، وفي مقدمتها العاصمة عدن.

4.ارتباط بعض الخدمات الضرورية بصنعاء، مثل شبكات الاتصالات وما له علاقة بذلك، مثل الشبكة العنكبوتية ومواقع التواصل الاجتماعي

5.ما زالت قاعدة البيانات الإحصائية في صنعاء.

6.المرتبات. فقد عجزت حكومة شرعية هادي عن توفير المرتبات لموظفي الدولة في القطاعين المدني والعسكري.

7.توجد سلطات مجزأة، بمعنى أن كل محافظة تدير نفسها كل على حده. بل ويمكن القول إن كل منطقة تدير نفسها بشكل مستقل. أي أن هناك انعدام لأية سلطة واحدة في المناطق الجنوبية المحررة.